وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

الحِرف الملاحية في العصر العباسي دراسة في أحوالها العامة (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ)

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالبة

زينب جاسم حمادي

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتورة

ندى موسى عباس

١٤٤١هـ ٢٠٢٠م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة النحل: آية ١٤)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار المشرف

أشـهدُ أنْ إعـداد هـذه الرسـالة الموسـومة بـــ **" الحـرف الملاحيـة فـي العصر العباسي دراسة في أحوالها العامة(١٣٢-٦٥٦هـ)"** لطالبة الماجستير **(زينب جاسم حمادي)** جرى تحت إشرافي ، وقد التزمت الطالبة بالشروط العلمية والرجوع إلى المصادر الأصلية ، ومنها: أقدم المصادر والمراجع واتبعت الأسلوب العلمي والأمانة العلمية ، وأصبحت جاهزة للمناقشة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع

أ.م. د ندى موسى عباس

/ / ٢٠١٩م.

بناءً على توصية المشرف نرشح الرسالة إلى المناقشة ، بعد اطلاع الخبير اللغوي والعلمي.

التوقيع

أ.م.د ظافر أكرم قدوري.

رئيس قسم التاريخ.

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى

/ ٥ /٢٠١٩م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار الخبير اللغوي

أشـهدُ أن هـذه الرسـالة الموسـومة **بـــ " الحـرف الملاحيـة فـي العصـر العباسي دراسة في أحوالها العامـة(١٣٢-٦٥٦هـ)"**قد اطلعت عليها بالكامل وقومتها لغوياً، وأصبحت خالية من الأخطاء اللغوية.

التوقيــع:

الاســم: م . د. حسن هادي محمد

التاريخ: / ٥/ ٢٠٢٠م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ **" الحرف الملاحية في العصر العباسي دراسة في أحوالها العامة(١٣٢ -٦٥٦هـ)"** تخصص التاريخ الإسلامي ، قومتها علمياً ومنهجياً، وعليه أرشحها للمناقشة.

التوقيع:

الاسـم: رحيم فرحان صدام

التاريخ: /٥ / ٢٠٢٠م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار أعضاء لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة: أطلعنا على الرسالة الموسومة بـ **"الحرف الملاحية في العصر العباسي دراسة في أحوالها العامة(١٣٢-٦٥٦هـ)"** لطالبة الماجستير **(زينب جاسم حمادي)** وناقشناها في محتوياتها, وهي جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي وبدرجة ( ).

التوقيع:

المشرف: أ .م.د. ندى موسى عباس

التاريخ: / / ٢٠٢٠م

التوقيع:

عضو اللجنة:أ.م.د. وفاء عدنان حميد

التاريخ: / ٥/ ٢٠٢٠م.

التوقيع:

عضو اللجنة:أ.م.د.ظافر أكرم قدوري

التاريخ: / ٥/ ٢٠٢٠م

التوقيع:

رئيس اللجنة: أ.د.عدنان خلف كاظم

التاريخ: / ٥ / ٢٠٢٠م

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى على إقرار لجنة المناقشة.

الأستاذ الدكتور

نصيف جاسم محمد الخفاجي

عـ/ عميد الكلية

التاريخ: / / ٢٠٢٠م

الإهداء

إلى ... من أزالوا الأشواك عن دربي ومهدوا لي طريق العلم .

إلى ... من آثروني على أنفسهم وعلموني النجاح في الحياة .

إلى ... من كلت أناملهم ليقدموا لنا لحظات السعادة .

إلى ... **(عمي وعمتي)** الغاليين حفظكم الله وأدام الله بالعز أيامهم .

أهدي هذه الدراسة حباً وعرفانا

الباحثة

الشكر والثناء

الحمد الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

يسعدني أن أتوجه بالشكر وعرفان الجميل لأستاذتي الدكتورة **(ندى موسى عباس)** ،على ما أبدته لي من أراء علمية سديدة، وتوجيهات قيمة، وسعة الصبر في قراءة وتصحيح محتويات الرسالة ، ولاسيما وانها هي من اقترح علي موضوع الرسالة ؛فجزاها الله خيراً وأحسن اليها بدار الدنيا والاخرة .

كما أتقدم بخالص الامتنان إلى جميع أساتذتي في المرحلة التحضيرية ، وفي مقدمتهم رئيس قسم التاريخ الدكتور **(ظافر أكرم قدوري)** ، أسال الله تعالى ان يمنحهم العلم الوافر والصحة الدائمة.

كما ان الواجب التربوي والالتزام الأخلاقي يلزمني الاعتراف بالفضل الكبير لعائلتي ابتداء بأمي التي لولا دعائها لي لما وصلت الى ما أنا به الآن ؛ فهي لم تمل يوماً من السؤال عن سير عمل الرسالة ، وابي الذي علمني الصبر والصمود على ما أريده مهما كلف ذلك من جهد وتعب ، وأخوتي الذين دعموني وساندوني في تذليل الصعاب ، كما وأشكر زوجي الذي قاسمني التعب والصعوبات بكل ما مررت به فكان لي خير معين .

كذلك أتقدم بشكري وامتناني الى جميع العاملين في المكتبات العامة ، لاسيما في دار الكتب والوثائق الوطنية ، وكلية الآداب جامعة بغداد ، على ما أبدوه لي من مساعدة، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

قائِمةُ الرّموز ومَا يُـقابلها مِن المُصطَلحات

التسلسل	الرمز	المعنى
١	ج	الجزء
٢	مج	المجلد
٣	ق	القسم
٤	م	ميلادي
٥	هـ	هجرية
٦	ت	تاريخ الوفاة
٧	ص	الصفحة
٨	ط	الطبعة
٩	د . ط	دون رقم الطبعة
١٠	د . مط	دون مطبعة
١١	د . م	دون مكان
١٢	د . ت	دون تاريخ
١٣	تح	تحقيق
١٤	=	تكملة النص

المحتويـــــــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-5
الفصل الأول **حرفة الملاحة في العصر العباسي**	
المبحث الأول : طبيعة حرفة الملاحة	
اولاً: حرفة الملاحة (لغة واصطلاح)	٦-٨
ثانياً: متطلبات الحرفة	٨-١٠
ثالثاً : العمل بها	١١-٢٧
١-رواجها	١١-١٩
٢-التقاليد والمراسيم الملاحية	١٩-٢١
٣-أرزاقها	٢١-٢٤
٤-الاحصائيات	٢٤-٢٧
المبحث الثاني: الملاحون وطبيعة حياتهم الاجتماعية	
اولاً: الملاحون	٢٨-٣١
ثانياً: وسائل المعيشة اليومية للملاحون	٣١-٣٤
١-المأكل	٣١-٣٢
٢-الملبس	٣٢-٣٣
٣-المسكن	٣٣-٣٤
ثالثاً: حياة الملاحون الاجتماعية	٣٤-٣٩

رابعاً: الالتزام الديني والأخلاقي للملاحون	٣٩-٤٠
المبحث الثالث : مخاطر حرفة الملاحة في العصر العباسي	
اولاً: العواصف والأعاصير والتيارات البحرية	٤١-٥١
ثانياً: تيهان السفن	٥١-٥٥
ثالثاً: اللصوصية في الطرق الملاحية	٥٥-٦١
رابعاً: دواب البحر	٦١-٦٢
الفصل الثاني **حرفة صناعة المراكب**	
المبحث الأول : الحرفيون	٦٣-٧٠
المبحث الثاني: صناعة المراكب	
اولاً: صناعة المراكب	٧١-٧٥
ثانياً: المواد الخام	٧٥-٧٨
ثالثاً: طريقتها	٧٨-٨٠
رابعاً : دور صناعتها	٨١-٨٩
خامساً : طاقمها	٩٠-٩٥
سادساً : أجزائها	٩٥-٩٩
سابعاً: أنواعها	٩٩-١٠٩
الفصل الثالث **حرفة الصيد الملاحي**	
المبحث الأول: الغواصون	١١٠-١١٢
المبحث الثاني : حرفة صيد اللؤلؤ	
اولاً: صيد اللؤلؤ	١١٣-١١٨
ثانياً: مغاصاته	١١٩-١٢٤

ثالثاً: أدواته	١٢٤-١٢٥
رابعاً: طاقمه	١٢٥-١٢٥
المبحث الثالث : حرفة صيد السمك	
اولاً: صيد السمك	١٢٦-١٢٧
ثانياً: أماكنه	١٢٨-١٣٨
ثالثاً: طرقه	١٣٨-١٤٠
رابعاً: أدواته	١٤٠-١٤٢
الاستنتاجات	١٤٣-١٤٤
الملاحق	١٤٥-١٤٩
قائمة المصادر والمراجع	١٥٠-١٧٦
الملخص باللغة الإنكليزية	A-A

المقدمة

المقدمة وعرض المصادر والمراجع

سلّطت الدراسة الضوء على أحد اهم عوامل ازدهار المجتمع الإسلامي في العصر العباسي ؛ فقد وفرت حرفة الملاحة وصناعة المراكب والغوص والصيد ، الأجواء الملائمة لأفراد المجتمع من العامة والخاصة ، للارتزاق والمتاجرة والتنقل كما للترفيه وممارسة الهوايات . وكانت من هذه الحرف المائية حرفة النقل الملاحي بالمراكب بكافة اشكالها وحرفة صناعتها ، مطلوبة في كل الاوقات (الحرب والسلم) ، ورغم خطورة مهنة الملاحة ؛والشدائد التي يتعرض لها الملاحون لكنهم لم يكونوا ليتوقفوا عن مزاولتها واحترافها .

من الطبيعي ان يكون أغلب سكان المدن النهرية والموانئ البحرية ممن يعملون بالحرف الملاحية ويجيدوها ، ويشيع في مجتمعات هذه المدن والموانئ مظاهر ونشاطات اقتصادية وصور حضارية وثقافات ومعارف وعادات وتقاليد وملابس ، تنسجم تماما مع حرفهم وصناعاتهم الملاحية ومهنهم المائية .

ان هذا الموضوع يستحق الدراسة ! ذلك انه نقلنا الى الاجواء الحضارية المزدهرة للمدن النهرية والموانئ البحرية الاسلامية في العصر العباسي . لا سيما وان بعض الحرف الملاحية كصيد السمك ، قد مورست من قبل كل فئات وطبقات المجتمع الاسلامي سواء كانت كهواية او مصدراً للرزق ، من الطبقات الفقيرة الكادحة والطبقة المتوسطة وفئة التجار الاغنياء وصولا الى الطبقة الحاكمة . مما وفر غطاء اجتماعيا محترما لهذه الحرفة شعبياً ورسمياً .

لا ريب ان المتعة التي وجدتها في رحلتي بالبحث عن المعلومات المتناثرة بالكتب المتنوعة ، لهي أحب الى قلبي في أن أشير الى متاعبها ؛ فأنا أنسى تلك المشقات والمتاعب إزاء الحصول على ثمرة جهدي من معلومات طيبة تفيد رسالتي ،

فسعادتي بالبحث تزيل كل تعب مررت به ، وليس لي الا ان أسأل الله عز وجل بتحقيق غايتي ونيل الفائدة العلمية المرجوة من بحثي ، ويتقبل عملي قبولاً حسناً ، فهو ولي النعم والتوفيق .

قُسمت الرسالة الى مقدمة، وثلاثة فصول ، وملاحق والأستنتاجات تتضمن اهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة ، قائمة المصادر والمراجع ، واخيراً ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية .

لقد درست في الفصل الأول حرفة الملاحة في العصر العباسي ، وقسم الفصل الى ثلاثة مباحث : عن تعريف ماهية حرفة الملاحة في اللغة وطبيعتها ومتطلباتها ورواجها ، والتقاليد والمراسيم الملاحية الخاصة بها ، والاحصائيات المستخرجة عن عدد المراكب والملاحين ، وذكر امهر الملاحين الذين اشتهروا في العصر العباسي ، ومكانتهم الاجتماعية وحياتهم المعيشية العامة من مأكل وملبس ومسكن. وبيان التزامهم الديني والأخلاقي ، كذلك بيان المخاطر الملاحية ، التي يتعرضون لها من عواصف واعاصير وتيارات بحرية ودواب البحر الخطرة وتيهان السفن ، واللصوصية في الطرق الملاحية.

اما الفصل الثاني، فكان دراسة عن حرفة صناعة المراكب ، كالحرفيون في صناعة المراكب ودور صناعة المراكب والمواد الخام المستعملة في صناعتها وطرق الحصول عليها وطاقم السفينة وأجزاءها وانواعها .

اما الفصل الثالث حرفة الصيد ومهنة الغوص لصيد اللؤلؤ ، ومواضع المغاصات وأدوات الصيد وطاقمه ، وكذلك حرفة صيد السمك مصائده وطرقه وأدواته .

من غير الممكن الحصول على المعلومات والحقائق من دون الرجوع للمصادر الاولية ؛ فلا تاريخ من دون مصادر! ولا مصادر من دون توثيق ! ولقد اعتمدت

الرسالة على مصادر العصر العباسي المتنوعة ، لرسم صورة مقاربة لروحية العصر ، وتتبع المتغيرات الحضارية . وفيما يأتي عرض لأهم المصادر والمراجع المتنوعة من كتب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين والأدباء وغيرها كثير قد لا يتسع المجال لذكرها ، ومن الممكن التركيز على اكثرها افادة للرسالة اذ أن كثرة النصوص التي خدمت الموضوع ، ووظفت توظيفا حسنا افاد جوانب مهمة في الرسالة .

تأتي في مقدمة تلك المصادر كتب التأريخ(العام والخاص) ؛ وذلك لكونها كتب الاختصاص اذ ان الرجوع إليها أمر أساسي، وفي مقدمة تلك الكتب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ /٩٢٢م)، اذ تمت الأفادة منه على طول الرسالة في نقل عدد كبير من الحوادث التاريخية ،وكتاب المنتظم في تأريخ الملوك والأمم لابن الجوزي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ،اذ وجدت فيه حوادث لم أجدها في غيرة من المصادر الأخرى وكانت في غاية الأهمية ، وكتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٢٩م)،الذي ورد ذكره على طول الرسالة وكان يحوي على معلومات قيمة ووافيه .

تأتي بعد ذلك كتب الجغرافية والرحلات التي كانت ذات معلومات نادرة ودقيقة ، فقد أعتاد البعض من التجار والملاحين والرحالة رواية سيرتهم الذاتية المفصلة بمذكراتهم اليومية . وقد ساعدتنا في رسم صورة تقريبية لطبيعة حياة الملاحين وما يلاقوه في ابحارهم في النهر والبحر من مخاطر وصعوبات . ويعد الملاح بزرك بن شهريار الرامهرمزي من أبرز هؤلاء الملاحين المتوفى (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)، بكتابه المنسوب اليه والمعنون " عجائب الهند بره وبحره وجزائره " الذي زودنا بنصوص كثيرة تخص سير العمل في السفن الكبيرة ، وتقسيم العمل بين الملاحين وتفاصيل أخرى من مشاهداته الحية ، عن حجم الاهوال التي يصادفوها في بحار الهند والصين .

كذلك كتاب رحلة ابن جبير لأبن جبير(ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) ،الذي صور في رحلته مخاطر بحري القلزم والروم وصفا دقيقا ، وأشارته الى مهارة الملاحين والربابنة وخبراتهم واعجابه بها لا سيما في اجتياز مخاطر الجزر المرجانية ببحر القلزم .

كذلك نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م)،الذي ذكر فيه مواضع مغاصات اللؤلؤ في جزر بحر الحبش ومصائد السمك في شمال افريقيا ومخاطر المرجان في بحر القلزم ومواسم الرحلات البحرية ، وأشار الى مخاطر اللصوصية البحرية على السفن في بحر الهند وبحر الحبش وعين اماكن تجمع لصوص البحر .

كما يعد كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، من الكتب التي لا غنى عنها للباحث لما لها من قيمة علمية ومعلومات دقيقة في تصوير الأماكن والمناطق ، وقد تم الأشارة له في جميع فصول الرسالة .

امدتنا كتب الأدب بالعديد من القصص الأدبية لتبين الملاحين وحياتهم العامة أضافة الى توضيح عدد من المواضيع التي داخل الرسالة ، ويأتي في مقدمة تلك المصادر كتابي نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة وكتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، كذلك الأغاني للأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) الذي بين موقف الخلفاء العباسيين من الملاحين من خلال الأشعار، إضافة الى الكتب الاخرى التي لا تقل عما ذكرنا من مصادر.

تأتي بعد ذلك كتب المعاجم اللغوية ، والتي يتم الرجوع إليها في تعريف الكلمات والمصطلحات الغريبة لتعريفها وبيان المراد منها ، وفي مقدمة تلك الكتب كتاب لسان العرب لأبن منظور(ت٧١١هـ/١٣١١م)،وكتاب تاج العروس في جواهر القاموس للزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، وكتاب العين للفراهيدي(ت١٧٠هـ/٧٨٦م).

اما كتب التراجم والطبقات التي لا يمكن تعريف أي شخصية الا بعد الرجوع إليها، وقد ورد في الرسالة عدد من الشخصيات التي تم تعريفها من تلك الكتب وفي مقدمتها كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، فبالرغم من كونه

يحمل اسم لتأريخ مدينة الا انه يحوي على معلومات قيمة تخص الشخصيات التاريخية ، كذلك كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، وكتاب وفيات الأعيان وابناء أنباء الزمان لأبن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

اما كتب الأنساب التي تم الرجوع إليها في توضيح عدد من القبائل في الفصل الثاني، ومن أشهر تلك الكتب كتاب الأنساب للسمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) ، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).

اما كتب المراجع الحديثة والتي تم الرجوع إليها لمعرفة تحليل الحوادث ، وفي مقدمة تلك المراجع كتاب التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي سليمان ابراهيم العسكري، وكتاب العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى لجورج فضلوا حوراني، وقد أفات تلك المراجع في كل ما يخص الملاحة والطرق الملاحية ومخاطرها خلال العصر العباسي وبيان موقف الخلفاء العباسيين منها.

وهنالك الكثير من المصادر والمراجع والمجلات التي سترد في ثبت الرسالة، لا يتسع المجال لذكرها هنا ، فقد ذكرنا هنا ما فاقت أهميته في الرسالة.

وختاماً أقدم اعتذاري سلفاً عن أي أخطاء أو هفوات غير مقصودة وردت في الرسالة، وما الكمال الا لله سبحانه وتعالى ، وحسبي قول ديورانت صاحب كتاب قصة الحضارة : " لو بقيت أنتظر الكمال لكتابي لما انتهيت منه".

الباحثة

الفصل الأول

حرفة الملاحة في العصر العباسي

المبحث الأول : طبيعة حرفة الملاحة

أولا : حرفة الملاحة (لغة واصطلاح)

ثانيا : متطلبات الحرفة

ثالثا: العمل بها

١- رواجها
٢- التقاليد والمراسيم الملاحية
٣- ارزاقها
٤- الاحصائيات

المبحث الثاني : الملاحون وطبيعة حياتهم الاجتماعية

أولا : الملاحون

ثانيا :وسائل المعيشة اليومية للملاحون

١- المأكل
٢- الملبس
٣- المسكن

ثالثا : حياة الملاحون الاجتماعية

رابعا :الالتزام الديني والأخلاقي للملاحون

المبحث الثالث : مخاطر حرفة الملاحة في العصر العباسي

أولا :العواصف والأعاصير والتيارات البحرية

ثانيا : تيهان السفن

ثالثا : اللصوصية في الطرق الملاحية

رابعا :دواب البحر

المبحث الاول

طبيعة حرفة الملاحة

اولاً : حرفة الملاحة (لغة واصطلاح)

الحرفة في اللغة : اسم من الأحتراف وهو الاكتساب، يقال هو يحرف لعياله ويحترف ويقرش ويقترش ، بمعنى يكسب من ها هنا وها هنا[١]، وقيل : الحرفة هي الصناعة[٢] ، والمحترف هو الصانع ، وفلان حريفي[٣]، والإحتراف : هو الاكتساب أيا كان[٤] وفي الاصطلاح فأنها الصنعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب، والحرفة هي كل عمل يقوم به الانسان للكسب والعيش[٥]، الملاحة في اللغة : الملح أي ما يطيب به الطعام ، والملاحة منبت الملح ، والملاح : صاحب السفينة

---

(١) الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد ،(ت٣٧٠هـ/٩٨٠م) ، **تهذيب اللغة** ، تح: محمد عوض مرعب ، ط ١، دار أحياء التراث العربي ،(بيروت _٢٠٠١م) ج ٥، ص ١٦ ؛ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي ،(ت ٧١١هـ/١٣١١م) ، **لسان العرب** ، ط٣ ، دار صادر ،(بيروت –١٩٩٣م)، ج٩ ، ص ٤٣.

(٢) الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ،(ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، **مختار الصحاح** ، تح : يوسف الشيخ محمد ، ط٥، المكتبة العصرية _الدار النموذجية ، (بيروت /صيدا–١٩٩٩م) ،ج٢، ص٨٣٩.

(٣) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين،(٣٥٠هـ/٩٦١م)، **معجم ديوان الأدب** ،تح :أحمد مختار عمر ، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة الشعب للصفاحة والطباعة والنشر ،(القاهرة _٢٠٠٣م)،ج٤، ص١٣٤٣؛ الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ،(ت٣٩٣ هـ/١٠٠٢م) ، **الصحاح** ، تح: احمد عبد الغفور ، دار العلم للملايين ، (بيروت _ ١٩٨٧م) ،ج ٢ ، ص ٨٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ،ص ٤٤.

(٤) ابن منظور، المصدر نفسه ،ج٩،ص٤٤.

(٥)الزبيدي ، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تح : مصطفى حجازي واخرون ، مطبعة دار الهداية ، (د. م – د.ت)،ج٦، ص٦٥؛ جواد ، علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ط٢ ، مكتبة النهضة،(بغداد – ١٩٨٢م) ،ج٧ ، ص ٥٥.

لملازمته الماء المالح ، والملاح الريح التي تجري بها السفينة وبه سمي الملاح ملاحا[١] ، وعلم الملاحة هو علم عقلي تجريبي[٢] .

اما عن الشخص الذي يعمل في هذه الحرفة فهو الملاح : بالفتح والتشديد وقيل: سمي السفان ملاحاً لمعالجته الماء الملح بأجراء السفن فيه [٣] ، وأنشد الأزهري للأعشى[٤] :

تَكَاكأَ مَلاَّحُهَا وَسْطَهَا مِن الخَوْفِ، كَوَثَّلَهَا يَلْتَزِمْ[٥]

كما عرف الملاح بأسماء عدة شائعة في مصادر العصر العباسي ومنها : السفان (مجري السفينة ومسيرها)[٦] ، والنوتي (جمعها النواتي والنوتيون)[٧] ،

---

(١) الفراهيدي، أبو عبدالرحمن خليل بن احمد بن عمرو بن تميم،(١٧٠هـ/٧٨٦م)، **العين**، تح : مهدي الخوارزمي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د_م_ د_ت)،ج٣، ص٢٤٤؛ الأزهري، تهذيب اللغة ، ج٥، ص٦٥.

(٢) شهاب ، حسن صالح ، **فن الملاحة عند العرب** ، ط١، دار العودة ،(بيروت _١٩٨٢م)، ص٧٥.

(٣) الزبيدي ، تاج العروس،ج٧، ص١٤٣؛ابن منظور ، لسان العرب،ج٢، ص٦٠٠.

(٤) **الأعشى**: هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أبو نصير، الشاعر المعروف بالأعشى ، كان في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، واحد فحول الشعراء ، ولد في قرية اليمامة ، يقال انه كان نصرانيا، ادرك الأسلام والرسول محمد (ﷺ) ، ومدحه ولم يسلم ، كان يتغنى بشعره ،سمي بالأعشى لضعف بصره، وقد عمي في أواخر عمره ؛ ينظر: المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤م) ، **معجم الشعراء** ، مكتبة القدسي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت_١٩٨٢م)، ص٤٠١ ؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، **تاريخ دمشق** ، تح : عمرو بن غرامة العموري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(د.م -١٩٩٥م) ،ج٦١، ص ٣٢٧.

(٥) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل ، (ت ٧هـ/٦٢٩م) ، **ديوان الأعشى**، تح: محمد حسين ، د_ط ، (بيروت-١٩٧٤م) ، ج٦٣، ص٢.

(٦) الزبيدي، تاج العروس،ج٥،ص٣٦١.

(٧) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، (ت ٣٩٥ هـ/١٠٠٤م) ، **مجمل اللغة** ، تح : زهيري عبد المحسن سلطان ، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت - ١٩٨٦م)،ج١،ص٨٤٢.

والصاري (ملاح السفن ذات الصواري وهي الأشرعة)[١]، والداري (الملاح الذي يعمل في السفن الشراعية)[٢]، والغادق(الذي يعمل في المياه الغزيرة)[٣] .

ثانياً: متطلبات الحرفة

اتسم عامة الملاحون كمثل أولئك الذين كانوا يقودون ويسيرون السفن في العصر العباسي ، بالحذر الشديد والتوجس واليقظة والقوة البدنية النشطة طوال الليل والنهار، لما كانت تتطلبه منهم طبيعة حرفة الملاحة من أعمال شاقة ، وما تفرضه عليهم من ضرورة خوض الكثير من التجارب ، والقيام بالكثير من السفر لتفادي الكثير من المخاطر الملاحية والحفاظ على السفن و أرواح البشر الذين على متنها والبضائع المحملة عليها[٤]، والنتيجة أنهم كانوا يزدادون مهارة مع ازدياد رحلاتهم ، ويخرجون بخبرة يتوارثوها الملاحون من بعدهم ممن يمتهن حرفتهم .

كان من عادات الملاحون المتعارف عليها في كل العصور كما في العصر العباسي، أن يجمعوا الكثير من الدلالات والاستدلالات في سيرهم وهم يشقون عباب البحار والأنهار كبيرها وصغيرها[٥]، ليتجنبوا الأماكن الخطرة في البحار والأنهار كمثل التيارات الدوامية والدائرية التي تعيق الملاحة أو تكسر السفن[٦]، لذا كان على على الملاحين ان يكونوا على دراية ومعرفة واطلاع واسع بكل أمور وشؤون الحرفة

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٥٤ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٨٩.

(٢) الفراهيدي، العين، ج٨، ص٦٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٨.

(٤) شهريار، برزك الرامهرمزي الخوزستاني، (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، **عجائب الهند بره وبحره**، تح: أ.فان درليت، ترجمة: ل. مرسيل ديفنك، دار ومكتبة بيبلون، (جبيل_٢٠٠٩م)، ص٢٢؛ متز، ادم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، نقله الى العربية محمد بن الهادي أبو رويدة، أعده: رفعت البدراوي، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت_د. ت)، ج٢، ص٤٤٠.

(٥) الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط١، عالم الكتب، (بيروت_١٩٨٨م) ، ج١، ص٦٥.

(٦) ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **تقويم تقويم البلدان**، دار صادر، (بيروت_١٩٨٠م)، ص٢٦.

وطبيعتها، وليعودوا لبلدانهم سالمين غانمين وقد نالوا ماتأملوه ، وان تكون لديهم خبرة ومهارة مهنية بعدة أمور تتراكم لديهم مع استمرار مزاولتهم الحرفة لفترة زمنية طويلة[١]، ومن اهم وأبرز هذه الأمور والمسائل هي كما يأتي :

١-المعرفة بطبيعة واتجاهات ومواسم الرياح وأوقاتها[٢] ، والدراية بخصائص كل نهر وبحر يخوضون به ، ونهج الدخول بالموانئ المعقدة المسلك ويصف ابن جبير مهارة النواخذة في تصريف الأمور قوله : " **ودخول هذه المراسي (مواقف السفن)صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها ، وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة أثناءها أمراً ضخماً، يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه** " [٣].

٢-الخبرة برصد حركة ومواقع الكواكب والنجوم[٤].

٣-التجربة العملية والإدارية باستعمال الات وأدوات البحر، وإدارة شؤون السفن لا سيما الكبيرة منها [٥].

٤-الاطلاع الواسع بشؤون تقدير المسافات بين الموانئ وطرق الملاحة ، وأطوال الأنهار والبحار، واتصالات بعضها ببعض، ومعرفة تقاويم المسافات أي قياسها بالأوقات والأيام والأشهر، وهو الشخص المسمى بـ **(مافنا)**[٦][٧].

---

(١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني، (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروف برحلة ابن جبير**، دار ومكتبة الهلال، (بيروت_ د_ت)، ص٢٦٤.

(٢) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الأسلامي**، معهد التراث العلمي العربي، (حلب_١٩٩٥م)، ص١٩.

(٣) رحلة ابن جبير ،ص٦٠ .

(٤) شهريار، عجائب الهند، ص١٦١.

(٥) المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد عبد القادر، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، دار الكتب العلمية، (بيروت_١٩٩٧م)، ج١، ص٣٨٨.

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٧) الالوسي، عادل محيي الدين، **تجارة العراق البحرية مع اندونوسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري/أواخر القرن الثالث عشر ميلادي**، وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد_١٩٨٤م)، ص٦٦.

٥-الحرص على اقتناء كتاب **الرهنامة**[١] والرجوع اليه لتتبع خرائط الطرق الملاحية وتعيين أماكن الموانئ والجزر البحرية والنهرية، وتحديد مواضع التيارات المائية وحركات المد[٢] والجزر[٣]، وأوقات ومواسم رياح العواصف **والزوابع**[٤] الشديدة أو تلك المناسبة للإقلاع ، ومعرفة مسارها ومصادر هبوبها[٥].

٦-المهارة في الغوص والنجارة لتصليح السفن ان تعرضت لخرق أو كسر، فقد يطرأ الشراع أو حطه أو جذب مرساة (الأنجر) من مراسيه[٦].

٧-الدربة على فنون القتال والمدافعة للتخلص من لصوص البحر أذ لابد في كل مركب من مقاتلة ونفاطين[٧].

٨-الحذر واليقظة ودقة الرصد والترصد ، وتعلم فهم أشارات ورموز ومصطلحات التحذير في أمور الخفارة والنظارة ، لتفادي خطر التيارات المائية (الدوارات،الهوارات) أو الحيوانات المائية (الحيتان والاسماك الضخمة والتماسيح)[٨]، ورصد الإشارات التي تصدرها المنارات للتحذير من الانحدار نحو

---

(١) **الرهنامة**: بسكون الهاء وفتح الميم كلمة فارسية استعملها العرب، تتكون من مقطعين ومعناه (كتاب الطريق) الذي يسلك به الربابنة العالم في البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها؛ ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٥، ص٦٠٢.

(٢) المد : وجمعه مدود ، وهو السيل ، هو ارتفاع الماء ؛ ينظر :الادريسي ، نزهة المشتاق،ج١،ص٩٣؛ ابن منظور ،لسان العرب ،ج٩،ص١٥٥.

(٣) الجزر : هو رجوع الماء الى الخلف ،وهو انقطاع المد ؛ الادريسي، نزهة المشتاق،ج١،ص٩٤؛ ابن منظور ،لسان العرب ،ج٤،ص١٣٣؛ الزبيدي ،تاج العروس ،ج١٠،ص٤١٥.

(٤) **الزوابع** : العواصف والأعاصير ،ريح تثير الغبار والتراب تديره في الأرض حتى ترفعه في الهواء ؛ ينظر : الأزدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ،(ت٣٢١هـ/٩٣٢م) ،جمهرة اللغة ،تح : رمزي منير بعلبكي ،ط١،دار العلم للملايين ،(بيروت -١٩٨٧م)،ج٢،ص١٢٧٧ ؛ الزبيدي ،تاج العروس ،ج٢١،ص١٤٣.

(٥) المقدسي، أبوعبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت٣٨٠ هـ/٩٩٠م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، دار صادر، مكتبة مدبولي، (القاهرة _ ١٩٩١م)، ص١٠.

(٦) متز، آدم، الحضارة العربية الأسلامية، ج٢، ص١١.

(٧) ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد المغربي الغرناطي، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **الجغرافيا**، تح: حماه حماه الله ولد السالم، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت _ ٢٠١٣م)، ص١٢٩.

(٨) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، (بيروت_ ٢٠٠٥م)، ج١، ص١٧٠-١٧٥.

نحو أماكن **الجرارة** [١]، وتنبيه السفن من لصوص البحر، لتفاديها بتغيير الاتجاه في الوقت المناسب .

ثالثاً: العمل بها

١- رواجها

أتسع العمل بحرفة الملاحة الداخلية منها والخارجية في العصر العباسي بشكل مثير للانتباه ،لاسيما في مدن شاطئ دجلة وشاطئ الفرات في العراق كالعاصمة بغداد **وواسط**[٢] **والبطائح**[٣] والبصرة **والأبلة**[٤] **والموصل**[٥] **والأنبار**[٦] ومدن شاطئ

(١) **الجرارة** : ناحية من نواحي البطيحة قريبة من البحر الى البر، تقرب نحو الأبلة توصف بكثرة السمك، ولهذه الجرارة اتخذت الخشبات في فم البحر؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٩ ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان** ، ط٢، دار صادر، (بيروت-١٩٩٥م) ، ج٢، ص١١٧.

(٢) **واسط** : هي المدينة التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨هـ ، سميت بواسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، كانت على نهر جلة اذ يقسمها نصفين بينهما جسر من السفن ، وهي نخل ومزارع وبساتين وعمارات متصلة ؛ ينظر : ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دار صادر، (بيروت _١٩٣٨م)، ج١، ص٢٣٩؛ الحميري ،، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط١، مطبعة دار السراج، (بيروت_١٩٨٠م)، ص٥٩٩.

(٣) **البطائح**: جمع بطيحة، وتبطح السيل اذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها، وهي ارض واسعة بين واسط والبصرة، كانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة ؛ ينظر: اليعقوبي، ابي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، **البلدان**، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠١م)، ص١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٠ .

(٤) **الأبلة**: من مدن البصرة، تقع في نهاية الرأس الجنوبي لنهري دجلة والفرات، على الحافة الشمالية من بحر فارس (الخليج العربي)، سميت بالأبلة لوقوعها على نهر الأبلة ؛ ينظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص١١٨ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٩٧.

(٥) **الموصل**: هي مدينة قديمة على طرف دجلة، سميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، والعراق، وهي صحيحة التربة والهواء، شرب أهلها من نهر يقطعها، اتخذه بني أمية في وسطها؛ ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٢١٤ ؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣.

(٦) **الانبار**: مدينة على الفرات غربي بغداد، اول من عمرها سابور بن هرمز، وجددها أبو العباس السفاح، سميت بالأنبار لأن الانبار في الفارسية الأهراء وذلك لأن أهراء الملك كان فيها، وهي مدينة متحضرة لها أسواق ولها فواكه كثيرة، وهي على رأس نهر عيسى؛ ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٥٦ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧.

شاطئ النيل في مصر وفي بعض مدن بلاد الأندلس ، وسواحل بلاد فارس والمدن الضفافية النهرية ببلاد خراسان وما وراء النهر ، وأمتهن الملاحة غالبية سكان موانئ البحار الستة (بحر فارس والهند والصين والزنج والقلزم والروم) ولذلك أزداد عدد الملاحون حتى وصفهم الكرملي أنهم أصبحوا أمة من كثرت عددهم ، فيقول عنهم: " **اقبل المرتزقون على الملاحة ، وتزاحموا عليها حتى اصبحوا أمة لوحدهم بقضهم وقضيضهم** " [١]، وقد بين ابن خلدون ذلك بقوله : " **فلما أستقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتيه في حاجاتهم البحرية أمما ...**" [٢]، وذلك لعدة أسباب نذكر منها :

١- وجود الأنهار وفروعها ، كنهر دجلة على سبيل المثال ، بغداد بضفتيها الشرقي والغربي، وفروعه المتشعبة خلال محلاتها ودورها وقصورها الشاطئية المطلة على مشارع النهر ومراكبه[٣].

٢-ارتباط بغداد بنهري دجلة والفرات (**بنهر عيسى**)[٤]، والملتقيان في جنوب العراق والمكونان لشط العرب المتصل بـ بحر فارس (الخليج العربي) ومنه الى بقية البحار والمحيطات[٥] .

---

(١) الكرملي، عواد، أنستاس ماري الألياوي ، بطرس بن جبرائيل يوسف، **السفن والمراكب في بغداد**، مجلة لغة العرب العراقية، العدد٥٢، سنة ١٩٢٧م، ج٥، ص٤٦١.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد، (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، **مقدمة ابن خلدون**، ط٤، دار احياء التراث، (بيروت- د.ت)، ص٢٥٣.

(٣) الدرويش، جاسم ياسين، **الجذور التاريخية للقوة البحرية والنهرية في العراق في العصر الإسلامي**، مجلة أبحاث البصرة، العدد ٣٨، سنة ٢٠٠١م، ج٢، ص١٣.

(٤) **نهر عيسى:** هو نهر منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، يأخذ ماؤه من الفرات، ويصب في دجلة عند قرية قصر عيسى غربي بغداد، ويمر على متنزهات وبساتين عدة، وتتفرع منه أنهار عدة تخترق بغداد؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢١ _ ص٣٢٢ .

(٥) ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني، (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفرنامة**، تح: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، (بيروت_١٩٨٣م)، ص١٤٦؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ،ج١،ص٣٨٥ .

٣-التوسع بالتجارة الخارجية بتشجيع من الخلافة العباسية ، لتوفير السلع النادرة ودعم خزينة المال من موارد **الضرائب**[١] **والمكوس**[٢] على السفن وكذلك في احتكار بعض السلع كتجارة صيد اللؤلؤ[٣].

٤-ازدياد مخاطر الطريق البري وغالباً ما تكون أكثر بكثير من مخاطر الطريق المائي ، فنسبة الأمن والأمان بالطرق الملاحية لاسيما الداخلية منا أكبر[٤]، وهذا الأمر قديم فعلى سبيل المثال شهدت ضفاف الأنهار في بلاد الرافدين شبكة من النقل المائي منذ فجر الحضارة ، ففي نص بابلي أثري من القرن السادس قبل الميلاد، ينقل لنا الهاشمي ترجمته : " **اذا كانت الطرق البرية جيدة ، فدعهم يقدمون سيراً واذا لم تكن جيدة ، دعهم يأتون بواسطة السفينة** "[٥].

٥-كان الهروب من المدن في أوقات الحروب ، غالباً ما يتم بالزوارق والمراكب وكان من قبل العامة والخاصة من رجال الدولة الكبار والخلفاء ، والامثلة كثيرة كما في سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) عندما هرب **جلال الدولة**[٦] من جنده الذين

---

(١) **الضرائب**: واحدها ضريبة، وظيفة او أتاوة يأخذها الملك ممن هو دونه، وتأخذ من الأرصاد والجزية ونحوها؛ ينظر: الأزدي، **جمهرة اللغة**، ج١، ص٣١٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٥٠.

(٢) **المكوس**: مفردها مكس، وهي الجباية، ما يؤخذ من العشار، والمكس هو انتقاص الثمن في بياعه ؛ ينظر: الخوارزمي، أبو عبد الله بن احمد بن يوسف، (ت٣٨٧هـ/٩٩٦م)، **مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري ، ط٢، دار الكتاب العربي، (د.م – د. ت)، ص٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٥١٤.

(٣) العسكري، سليمان إبراهيم، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، مطبعة المدني، (القاهرة _ د. ت)، ص١٢١.

(٤) الكرملي، عواد ، السفن والمراكب في بغداد، ج٢، ص٢٤٧_ص٢٤٩.

(٥) الهاشمي، رضا جواد، **الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين**، مجلة سومر، مج ٣٤، ج١، ص٣٧.

(٦) **جلال الدولة**: أبو الطاهر فيروزجرد ابن الملك بهاء الدولة الدليمي البويهي، لُقِّبَ بلقب ملك الملوك الملوك في عهد الخليفة القائم بأمر الله، تملك بعد ابنه لمدة ١٧سنة، كانت دولته لينة ؛ ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سير أعلام**

شغبوا مطالبين بأرزاقهم[١]، وسنة (٤٣٤هـ/١٠٤٣م) بمحاولة الخليفة **القائم بأمر الله (٤٢٢- ٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م)**[٢]، الهروب من بغداد فجمع كل العباسيين وأسرهم ورجالهم وأمر ان تحضر لهم المراكب لكنه عاد وعدل عن الأمر باستتباب الأمور[٣].

٦-رغبة الخلفاء العباسيين وأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة وعامة الناس بالرحلات النهرية واستمتاعهم بها وكانت أجمل رحلات الخلفاء العباسيين النهرية التي ذكرتها المصادر وأفاضت في وصفها ، هي الاعراس النهرية كعرس الخليفة **المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)**[٤] من **بوران**[٥] ، وعرس الخليفة

النبلاء، دار= =الحديث، (القاهرة _ ٢٠٠٦م)، ج١٧، ص٥٧٧؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت _٢٠٠٠م)، ج١٠، ص٢٠٥.

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم، (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ** ، تح: ابي الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت _١٩٩٧)، ج٩، ص٤٤٦.

(٢) **القائم بأمر الله** : أبو جعفر ، عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن أبي أحمد بن جعفر العباسي البغدادي ، أمه قطر الندى وقيل بدر الدجى أرمينية ، أدركت خلافته ، اذ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه القادر بالله ، كان مليحاً وسيماً قوي النفس ، له اليد في الكتابة والأدب ؛ ينظر: الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **تاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت _٢٠٠٢م)،ج١١،ص٤٧؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١١، ص٤١٧.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٤٤٦.

(٤) **المأمون:** هو عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، وقبل أبا جعفر، ولد في الياسرية سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م)، دعي له بالخلافة في خراسان في حياة أخيه الأمين، وقدم بغداد بعد قتله، هو سابع خلفاء بني عباس، توفي سنة (٢١٨هـ/٨٣٢م) ؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٤٣٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٣٧٦.

(٥) **بوران:** بنت الحسن بن سهل، يقال ان اسمها خديجة، وبوران هو لقب لها، تزوج الخليفة المأمون بوران سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) لمكانة أبيها منه، اذ كان والدها وزير الخليفة، ضرب المثل بعرسها=

المعتضد بالله(٢٧٩-٢٨٩ هـ / ٨٩٢- ٩٠٢م)[١] من **قطر الندى**[٢] ومراكبها التي سارت بنهر دجلة في طريقها الى دار الخليفة[٣]، وكذلك احتفالات السلاطين السلاجقة في الأعياد ، كمثل احتفالات السلطان السلجوقي **مسعود**[٤]

=وجهازها، توفيت سنة (٢٧١هـ)؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،ج٨، ص٢٨٤ ؛ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت _١٩٩٤م)، ج٢، ص٢٨٧-ص٢٨٩.

(١) **المعتضد بالله:** أبو العباس احمد بن الموفق بالله، ولي عهد احمد طلحة بن المتوكل، ولد سنة (٢٤٢هـ)، استخلف بعد عمه المعتمد، كان شجاعا مهيبا، اسمراً نحيفاً، وافر العقل، ظاهر الجبروت، شديد الوطأة، توفي سنة (٢٧٩هـ)؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٤٠؛ ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت٧٦٤هـ /١٣٦٢م)، **فوات الوفيات**، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت _١٩٧٤م)، ج١، ص٧٢.

(٢) **قطر الندى:** بنت أبي الحسن خمارويه بن احمد بن طولون، زوجة الخليفة المعتضد بالله، وقيل ان اسمها أسماء ، كان صداقها الف الف درهم، كانت توصف بالجمال والعقل، جهزت لزواجها من مصر الى بغداد ، توفيت سنة ٢٨٧هـ؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص٤٨؛ الهجراني، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، ط١، دار المنهاج، (جدة _٢٠٠٨م)، ج٢، ص٦٣٦.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت _١٩٨٦م)، ج٦، ص٢١٥؛ مسكويه، أبو علي محمد بن أحمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٢٩م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تح: أبو القاسم إمامي، ط٢، (طهران _٢٠٠٠م)، ج٤، ص٣٦٧؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت _١٩٩٢م)، ج ٧، ص٢٧٧_ص٢٧٨.

(٤) **السلطان مسعود:** هو غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (٥٢٨-٥٤٧هـ) كان سلطاناً عادلاً، لين الجانب، كبير النفس، كريماً عفيفاً حسن السيرة لين العريكة سهل الأخلاق لطيفاً، فرق مملكته على أصحابه، اذ ام يكن له من السلطة غير الاسم، دفن في همذان ؛ ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٩١٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٤٢١-ص٤٢٣.

سنة (٤٢٢هـ/١١٣٠م) ، قد عرف عنه حبه للتنزه في **نهر جيحون**[١]، اذ خرج بسفنه ومعه الخدم والندماء والمطربين في سفن أخرى ، وقد علت أصوات المطربين من السفن[٢] ، والاحتفال الذي شارك به السلطان السلجوقي **ملك شاه**[٣] ووزيره **نظام الملك**[٤] سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) في بغداد فكانت القبب على مراكبهم ، ورافقتهم المراكب بأنواع الملاهي ، واستمرت الاحتفالات الى الليل فأوقدت الشموع بالمراكب والزوارق[٥] .

---

(١) **جيحون:** بفتح الجيم وسكون الياء، هو أسم أعجمي لنهر في إقليم ما وراء النهر، ويتكون كنهر عظيم من مجموعة أنهار تصب به، من منابعها في كابل بالسند ومن الهند، وينحدر إلى بحيرة خوارزم، ويجمد هذا النهر في الشتاء، فيعمد الناس إلى حفر أبار فيه بالمعاول ويحملون ماؤه بالجرار، وقد يتجمد نصف ماء الجرار قبل وصولهم إلى منازلهم. يبقى النهر متجمداً مدة شهرين وقد تسير عليه القوافل، وتظل السفن عالقة به اذا لم يسحبها الناس بانتظار ذوبانه ؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٦–ص١٩٧.

(٢) البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت٤٧٠هـ/٩٩٤م)، **تاريخ البيهقي**، تح: يحيى الخشاب وصادق نشأت، د–ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٨٢م)، ص٢٦١.

(٣) **ملك شاه:** هو جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (٤٦٥–٤٨٥هـ/١٠٧٢–١٠٩٢م) السلطان السلجوقي الثالث من سلاجقة الروم، كان يخطب له في جميع منابر المسلمين سوى بلاد المغرب، عرف بالسيرة الحسنة اذ كان عادلا أمينا سخي كريم منفقاً في وجوه الخير، منصوراً في الحروب مغرماً بالعمارة ، وقد حفر الكثير من الأنهار وكان له ولعاً شديداً بالصيد ؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٨٣؛الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٤، ص١٥.

(٤) **نظام الملك:** هو قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن أسحق بن العباس الطوسي المقتول سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، أتصل بخدمة السلطان ألب أرسلان وولده ملك شاه، أهتم بأهل العلم اذ كان مجلسه عامراً بالفقهاء والقراء، امر ببناء المدارس في بغداد ونيسابور وطوس واصبهان، كان أبوه من دهاقين بيهق، استمر في ذلك عشرين سنة؛ ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (د_م _٢٠٠٣ م)، ج١٠، ص٥٤١ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٧٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٣٧.

اذ كان الخلفاء العباسيين يستمتعون في السير بدجلة في نزهاتهم الخاصة ويغدقون المال على صناعها ، فعلى سبيل المثال أنفق الخليفة المأمون(١٩٨_٢١٨هـ/٨١٣_٨٣٣م) على صنع مركبه الدولفين ما قدره ثلاثة الاف الف درهم [١] ، ومن الذين ورد ذكرهم انهم اشتهروا بنزهاتهم النهرية من الخلفاء الخليفة **هارون الرشيد**(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)[٢][٣]، والخليفة الأمين (١٩٣-١٩٨ هـ /٨٠٩-٨١٣ م)[٤][٥] ، والخليفة المأمون والخليفة **المعتصم بالله**(٢١٨- ٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢ م)[٦][٧]، والخليفة المعتضد بالله والخليفة **المقتدر**

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١١١.

(٢) **هارون الرشيد**: أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي، ولد في الري سنة (١٥٠هـ)، استخلف بعد أخيه موسى الهادي، ستمرت خلافته عشرين سنة، كان ينزل الخلد، وصف الرشيد بأنه كان ابيضاً طويلاً مسمناً جميلاً ، كما انه كان يصلي كل يوم مائة ركعه إلى ان توفي، ويتصدق من ماله مائة الف درهم، واذا احج احج معه مائة من الفقهاء وابنائهم؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٣، ص٢٨٥.

(٣) الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المرواني، (ت٣٥٦هـ /٩٦٦م)، **الاغاني**، تح: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، (بيروت _ د _ت)، ج٤، ص٨١.

(٤) **الأمين**: محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، يكنى أبا عبدالله كما يكنى أبا موسى، ولد في الرصافة في بغداد، كان الأمين طويلاً سميناً أبيضاً، استخلف ثم خلع بعد ثلاث سنين ثم بقي مخلوعاً محبوساً الى ان قتله طاهر ابن الحسين سنة (١٢٩هـ)؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٥٤١ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٦، ص٢١٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٢؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تح: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، (د.م _١٩٨٨م)، ج٦، ص١٧٤.

(٦) **المعتصم بالله**: أمير المؤمنين محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله، ولد في الخلد سنة ١٨٠هـ، يكنى أبا إسحاق، يقال له الثماني، لأنه ثامن الخلفاء العباسيين، كما انه ولد في شهر الثامن، وفتح ثمانية فتوح، وله ثمان بنين وثمان بنات، توفي في مدينة سر من رأى سنة ٢٢٧هـ؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٥٤٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٦٩٢.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص١٧٤.

المقتدر بالله(٢٩٥- ٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢ م)[١][٢]، والخليفة **المطيع لله** (٣٣٤-٣٦٣ هـ / ٩٤٦-٩٧٤م)[٣][٤].

كانت زوارق ومراكب دار الخلافة تصطف بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة بأنواعها وأحجامها[٥] ، وهناك مراكب مزينة للأغنياء ، يذكرها ابن الجوزي بقوله : " " **لا يركب فيها إلا ظراف التجار وأرباب المقاطعات الرجل وغلامه والملاحون بثياب جميلة** " [٦] ، ومنها مراكب لنساء رجال الدولة ، وعادة ما تكون مظللة وبها ستائر وملاحوها من **الممالك**[٧][٨] .

(١) **المقتدر بالله**: أبو الفضل جعفر بن أحمد بن المعتضد بالله احمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله، ولد في بغداد، بويع بالخلافة بعد أخيه المكتفي، كان صغير السن وقد خلع مرتين وأعيد بسبب صغر سنه، قتل بباب الشمالية في بغداد؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص١٢٦؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٨٤.

(٢) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تح: قاسم السامرائي، ط١،دار الآفاق العربية ، (القاهرة _ ٢٠٠١م)، ص١٠٩.

(٣) **المطيع**: أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن جعفر بن المعتضد العباسي الهاشمي، تولى الخلافة بعد المستكفي، وقد خلف نفسه غير مكره، شهدت امه خلافته واسمها مشغلة، دامت خلافته ٢٩سنة، كان المطيع أبيض تعلوه صفرة جميل الوجة ؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص ٦٠٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٨٧.

(٥) التنوخي، أبو المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود،(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تح: عبود الشاجلي، ط٢، دار صادر، (بيروت_١٩٩٥م) ،ج١،ص٣٥؛الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد ،ج١،ص١١٦_ص١٢٠.

(٦) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ /١٢٠٠م) ،**مناقب بغداد**، تح: محمد زيفهم محمد عزب ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة _١٩٩٨م)

(٧) الممالك : جمع مملوك ، وتعني العبد ، وهو الذي ملك ولم يملك أبواه وهو ضد القن الذي ملك هو وأبواه ؛ ينظر : الرازي ،مختار الصحاح ،ج١،ص٢٩٨؛ ابن منظور ،لسان العرب ،ج١٠،ص٤٩٣.

(٨) التنوخي ، نشوار المحاضرة ،ج٣،ص٤٣؛ الأزدي ، محمد بن أحمد بن المظهر ، (ت القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي) ، **حكاية أبي القاسم البغدادي** ، د. ط ، كرل ونتر ،(هيد لبرج _١٩٠٢م) ،ص١٠٨.

إن الفرق بين المراكب والزوارق الصغيرة والسريعة غير واضح المعالم ، فمنها ما يجمع بين الأشرعة والمجاذيف ، ومنها ما يقتصر على خاصية عمل واحدة ، ومع ذلك فقد تميزت مراكب دار الخلافة العباسية ودار السلطنة ، بأنها الأسمى والأكثر أبهة وفخامة وهي المراكب المسماة **بالطيار**(١) (٢)، اما الأمراء العباسيين وكبار رجال الدولة والفئات الغنية فغالباً ما كانوا يركبون المراكب المعروفة بالزلالات(٣)، وفي النقل العام والحروب النهرية عرفت المراكب المسماة **بالسميريات**(٤)(٥)، والمعروف عنها أنها تنقل عدد كبير من الركاب .

٢ـ التقاليد والمراسيم الملاحية

عرف عن الملاحين جملة أمور، رسمت صورة عن الطابع العام لأسلوب العمل لديهم ، كما ترسخت المراسيم الخاصة بمهنتهم ، فعلى سبيل المثال من أبرز التقاليد المعروفة لديهم في بغداد أن الملاحون كانوا يقفون في **المشارع**(٦) فينادون على المحلات التي هي خط سيرهم ، كمثل أن ينادي الملاح على محلة **قصر عيسى**(٧)(٨)، أو **محلة أصحاب الساج**(٩)، أو **محلة فرضة عثمان**(١٠)(١١) .

---

(١) من أنواع السفن سيرد ذكره في الفصل الثاني .

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة ،ج٣، ص١٩٠، ج٤،ص١١٦،ج٣،ص٩٦،ج٤،ص٩٣ ؛أبو شجاع الروذراوري ،محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله ،(ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٤م) ، **ذيل تجارب الأمم** ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت _ ٢٠٠٣م) ، ص١٢٥.

(٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٥، ص١٤٦.

(٤) من أنواع السفن سيرد ذكره في الفصل الثاني .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٦، ص١٤٦.

(٦) **المشارع** : مفردها مشرعة او الفرضة المثلمة التي تكون في فوهة النهر ،او هي المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون منها و يشرب منها دوابهم ؛ ينظر : ابن منظور ،لسان العرب ، ج٧، ص٢٠٦؛ الأزهري ،تهذيب اللغة ،ج١،ص٢٧١.

(٧) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٠٨.

(٩) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(١٠) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(١١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٠٤-٢٠٥.

كما أن من عاداتهم عند تجمعهم في المشارع تكون المراكب الخاصة بهم متوسطة الحجم أو الزوارق الصغيرة للمعابر بين ضفتين نهر دجلة ومحلات بغداد المطلة على أنهار دجلة وفروعها ، وفي مشارع السفن التجارية الكبيرة القادمة من الموصل والبصرة والأبلة ، والمتخصصة بنوع معروف من البضائع التي تفرغ فيها ،فهي تسمى باسمها ، **كمشرعة القطانين**(١) التي هي محلة الملاحون اذ يفرغ فيها القطن(٢)، ومشرعة الشعير(٣) التي تفرغ فيها أحمال الشعير من سفن الموصل والبصرة (٤).

أما في مواسم الأبحار فقد كان الملاحون ينتظرون ما بين ثلاثة الى أربعة أشهر بحسب نوع الرياح في البحر الذي يريدون الأبحار به (٥)، ومن أبرز التقاليد المشهورة لديهم هي مراسيم الإعلان عن رحلات السفن المتنوعة في الموانئ فإذا أراد الناخوذ السفر بمركب الى جهة من الجهات ، أقام فيها علماً (لون أو شعار) خاص به ، فيعلم التجار بسفره ويتسامع الناس ، فيبقى كذلك أياماً ، ويقع الاهتمام بالرحيل ويتسارع التجار في نقل أمتعتهم(٦).

أشتهر عن الملاحين انهم كانوا يكثرون الصياح لأي سبب ، كما أنهم كانوا **يهزجون**(٧) وهم يديرون دفة المركب ويجذفون على ألحان غنائهم(٨) ، وقد كان الخليفة هارون الرشيد ، يحب غنائهم عندما يركب ، لكنه كان يأنف من كلماتهم

---

(١) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج١ ،ص١٢٩.

(٣) لم اعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا .

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٠٨.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٦٣.

(٦) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب العلمية، (بيروت _ د_ت)، ج٥، ص١١.

(٧) **يهزجون** : من الهزج ، صوت الطرب ، يهزج الصوت تهزيجاً ، والهزج نوع من اعاريض الشعر ؛ ينظر: الفراهيدي ، العين ،ج٣،ص٣٦٤؛الأزهري ، تهذيب اللغة ،ج٦،ص٢٤.

(٨) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٧.

البذيئة وصراخهم ، لذلك أمر أن تنظم لملاحي مراكبه أشعاراً جميلة يتغنون بها ويطرب عليها[١].

٣- أرزاقها

نشطت حرفة الملاحة في عاصمة الدولة العباسية بغداد ، اذ كان الخلفاء هم من يعينون الملاحون ليعملوا بمراكبهم وبدار الخلافة . وقد أشارت بعض المصادر الى أرزاق الملاحون في بغداد اليومية والشهرية ولمختلف المراكب ، ففي عهد الخليفة العباسي **الناصر لدين الله** (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)[٢] ، وصل كسب الملاحون جملة في بغداد حصراً الى تسعين الف درهم يومياً[٣]، وقرر الخليفة المعتضد بالله جرايات ارزاق الملاحون الشهرية بدار الخلافة الذين يعملون في الطيارات والشذاءات والسميريات والحراقات والزلالات وزوارق المعابر ، من جملة خمسمائة دينار في كل شهر ، أي يكون في كل يوم ستة عشر دينار وثلثي دينار[٤].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص١٠٨؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة _ ٢٠٠٢م)، ج٤، ص٥١.

(٢) **الناصر لدين الله:** أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن ابن المستنجد بالله يوسف المقتفي محمد بن المستظهر بالله، العباسي الهاشمي، كان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الجبهة، كان أطول الخلفاء العباسيين خلافة ؛ ينظر : الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٩٢؛ ابن تغرى بردى، أبو محاسن جمال الدين بن يوسف، (ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م)، **مورد الطاقة في من ولي السلطنة والخلافة**، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، د_ ط، دار الكتب المصرية، (القاهرة _ د_ ت)، ج١، ص٢٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٣٠؛ ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤.

(٤) الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن، (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د. م – د.ت)، ص٢٤.

مـن الطبيعـي ان تتفـاوت أجـور النقـل النهـري للملاحـين ، بحسـب المسـافة المقطوعة ، وحسب حجم المركب وعدد ركابه ، وتخمينـاً منا واستناداً الى بعض المعطيات ومع أنه لم يصرح بمقدار أجرة النقل بين مشارع بغداد ، أو بين بغداد والمناطق الأخرى التي خارجها ، من الممكن ان تكون ما بين الدرهم والدرهمين في النقلة الواحدة ؛ وذلك بعد مطالبة أحد الملاحون بزيادة أجرته الى أكثر من درهم(١)، كذلك قد تختلف الأجرة بحسب ظروف الركاب وتساهل الملاح معهم فقد يدفع راكب ما أجرة مرتفعة عن الأجرة المتعارف عليها ؛ لأنه قد يكون على عجلة من أمره أو لديه ظرف طارئ يتحتم عليه الركوب لوحده ، ويحتاج الى انطلاق المركب به بالسرعة الممكنة للوصول الى المكان الذي يريد ويكون متمكناً مادياً (٢)، كالراكب الذي دفع دينارين لأحد الملاحون لينقله من مشرعة **نهر المعلى**(٣) الى مشرعة **محلة الدباغين**(٤) ، وهي أجرة مرتفعة جداً (٥)، في حين دفع راكب آخر درهمين أجرة نقله من بغداد الى واسط أقل من الأجرة المعتادة ؛ لأنه كان لا يملك غيرها

---

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **أخبار الحمقى والمغفلين**، تح: عبد الأمير مهنا، ط١، دار الفكر اللبناني (د_م _١٩٩٠م)، ص٥١.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة ،ج ٨ ، ص٢٢٥ .

(٣) **نهر المعلى**: من أنهار بغداد القديمة، نسبت التسمية إلى المعلى بن طريف مولى الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) واحد قادة الجيش. يقع النهر في الجانب الشرقي (الرصافة) من بغداد قادما من الخالص، وبعد ان يدخل دار الخلافة يخرج منها ليمر بالدروب حتى يصب بنهر دجلة أقيمت عليه محلة سميت باسمه (محلة نهر المعلى) بالقرب من دار الخلافة ؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ٥، ص٣٢٤.

(٤) **محلة الدباغين**: وتقع في المدائن بأطراف بغداد؛ للمزيد أنظر: التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٥، ص١٤٦.

(٥) ابن الجوزي، جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **ذم الهوى**، تح: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، د. ط، دار الكتاب العربي (بيروت _٢٠١٠م)، ص٣٢٤.

وهو بحاجة الى الركوب فوافق الملاحون واتفقوا معه على شرط أن يلبس مثل ملابسهم ليظهر كأنه واحد منهم ، فلا يلفت أنتباه صاحب المركب[١] وقد يدفع راكب فقير نصف الأجرة ، كما حدث ودفع أحدهم درهماً واحداً مقابل ان يأخذونه معهم في المركب من بغداد الى **عكبرا** [٢]، وهو مبلغ قليل عن الأجرة المعتادة[٣].

يحدث أن يتساهل الملاح الأجرة إشفاقاً على الراكب إذا كان من المنقطعين أو من الفقراء المعدمين[٤] فلا يأخذ الملاح الأجرة اذا كان الأمر لا يضر به [٥]، كما حدث مع مركب لأحد كتاب الخليفة المأمون ، عندما كان متوجهاً في زلال له يريد البصرة ، فسمع منادي على الشاطئ ينادي " **يا ملاح** " فإذا هو شيخ جالس على شاطئ حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص ، فطلب الكاتب من الملاح أن يرد عليه، فرد الملاح ، فأجابه الشيخ : يا غلام أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلفني ، ولست أجد من يحملني فاحملوني معكم وأبتغ الأجر في فإن الله يحسن أجر صاحبكم ، وتقدم إلى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم إلى أن أبلغ بلداً يطرحوني فيه، فأدركت صاحب المركب رقة عليه فقال للملاح : " **خذوه معنا** " ، فحملوه معهم في الزلال وقدموا له ما أصلح

---

(١) التنوخي، أبو المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود، (ت٣٨٤ هـ/٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، تح: عبود الشالجي، دار صادر، (بيروت _١٩٨٧م)، ص٣٣٣.

(٢) **عكبرا**: بليدة من ناحية الدجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة، يبلغ طولها تسع وستون درجة ونصف وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي الحنبلي، (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط١، دار الجبل، (بيروت _١٩٩١م)، ج٢، ص٩٥٣.

(٣) ابن الجوزي، اخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧١.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص٢٨٩.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم ،(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **الإمامة والسياسة** ، تح: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ،(بيروت _١٩٩٧م)،ج٢،ص٣٣٠.

بـه نفسـه وأسـكن جوعـه[١]، وفـي حـالات أخـرى يصـادف أن يعـرض أحـد الركـاب الطعام على الملاحين بدلاً من المال[٢].

في حين قد يتبرع أحد المسافرين بدفع الأجرة عن أحد الركاب لعدم امتلاكه المال ، كما حدث مع **محمد بن القاسم العلوي**[٣] ، ويروي ذلك في قصة هروبه من سجن الخليفة المعتصم وعبوره دجلة بقوله : فطلب مني الملاح أجرته كما أخذ من الناس ، فقلت ما معي شيء ، أنا رجل غريب ضعيف ، فقال لي شيخ : أعبر أنا أعطيه عنك ، فأعطاه عني وعبرت[٤].

٤ـ الإحصائيات

على الرغم من قلة الإشارات الإحصائية لعدد المراكب والملاحين ، لكن هنالك نصوص أشارت لتلك الإحصائيات ، اذ بينت لنا أن أعداد المراكب والسفن كان كبيراً ، وأن أعداد الملاحون كان أكبر ، فعلى سبيل المثال تذكر المصادر ان عدد الملاحون الذين كانوا يديرون شؤون مراكب الخليفة المأمون في عرسه من بوران

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص٣٠٧.

(٢) التنوخي، المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(٣) **محمد بن القاسم العلوي**: هو محمد بن القاسم بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، خرج على المأمون ثائراً في الطالقان، يدعو للرضى من آل محمد، كان أول أمره ملازماً لمسجد النبي فكان حسن السيرة له علم بالفقه متعبد زاهد ورع. أعجب الخراسانيين بسيرته وبايعوه فرحل معهم إلى جوزجان، ثم أظهر أمره بالطالقان؛ فخرج اليه جيش عبد الله بن طاهر وبعد عدة مواقع أسره وسيره إلى الخليفة المعتصم، فحبسه لكنه هرب يوم عيد، ولم يعرف له بعدها على خبر؛ ينظر: المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد عبد القادر، (ت٨٤٥هـ /١٤٤١م)، **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، ط٢، دار الغرب الأسلامي، (بيروت _٢٠٠٦م)، ج٧، ص١٩٩؛ الهجراني، قلادة النحر، ج٢، ص٤٥٠.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص١٢١_ص١٢٢.

بنت وزيره **الحسن بن سهل**[١] **بفم الصلح**[٢] بأنهم كانوا ستة وثلاثين ألف ملاح[٣]، فيما أحصي العدد الإجمالي الملاحون أصحاب المراكب الذين كانوا يحملون الناس في مراكبهم الى موضع العرس عشرة الآف ملاح[٤].

أما عن عدد الملاحون العموميين في معابر بغداد في عهد الخليفة المقتدر بالله فكان ما بين الثلاثين الى الأربعين ألف ملاح[٥].

كما تختلف السفن في اعداد الملاحون الذين يسيرونها بحسب حجمها، فغالباً لا تحتاج الزوارق الصغيرة والسريعة الى أكثر من ملاح واحد يديرها، في حين قد

---

(١) **الحسن بن سهل:** هو أبو محمد الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي المتوفى سنة ٢٣٦هـ /٩٤٧م أخو ذي الوزارتين الفضل بن سهل، وكانا من ذوي الرياسة في المجوسية ثم أسلما ودخلا بخدمة المأمون، تولى الحسن ولاية العراق عندما اصبح المأمون خليفة، ثم عينه وزيراً له بعد مقتل أخيه، وتزوج أبنته بوران، أشتهر الحسن بتوقعاته، وعرف بجوده حتى حينما أفتقر؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٨٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص١٠١-١٠٥؛ ابن طباطبا، ابن الطقطقا محمد بن علي، (ت٧٠٩ هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، د. ط، دار صادر (بيروت- د.ت)، ص٢٢٢_٢٢٤.

(٢) **فم الصلح:** هو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبّل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٦؛ ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٤٤.

(٣) الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت ٣٨٨ هـ/٩٩٧م)، **الديارات** ، تح : كوركيس عواد، مكتبة المثنى، (بغداد _١٩٦٦م)،ص٥٨؛ القلقشندي ،أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ،(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** ، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط٢،(الكويت_١٩٨٥م)،ج٣،ص٣٦٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص٢٢٥.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص١٢٨.

تحتاج زوارق أخرى فضلاً عن الملاح الى جذافين يجذفون كما في زوارق بطائح العراق والأبلة[١]، فيما يذكر ابن سعيد أن هناك مركب يجذف فيه مئة ملاح[٢].

اما عن احصائيات المراكب التي كانت على ضفتي دجلة لتؤمن النقل النهري في بغدد بشكل متواصل من الصباح الباكر الى المساء [٣]، اذ بلغت إحصائيات الخطيب البغدادي للعدد الاجمالي للمراكب في عهد الخليفة الناصر لدين الله، فكانت ثلاثين ألف مركب من مختلف الأحجام والأشكال[٤] . كما أحصي عدد مراكب التجار وكبار ملاكي الأراضي تحديداً وصلت الى خمسمائة مركب[٥] في حين بلغت عدد المراكب في بغداد في عهد **معز الدولة البويهي** (٣٣٤-٣٥٦هـ/ ٩٤٥- ٩٦٦م)[٦]، أكثر من خمسين مركباً[٧].

تدخل المسافة المقطوعة في تحديد حجم السفينة وعدد ركابها ، فكلما زاد عدد الركاب زاد حجم السفينة ، فقد بلغ عدد ركاب السفن المتوجهة من بغداد الى البصرة بثمانين راكباً [٨].

أما السفن الكبار التي تحشد في مواسم السفر ، فقد وصل عدد السفن التي خرجت من ميناء الأبلة متوجهة بطريقها إلى الصين مرة واحدة نحو عشر سفن[٩] ،

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص٢٨٩-٣٣٦.

(٢) ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٩.

(٣) الشابشتي، الديارات، ص٤٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٢٧.

(٤) تاريخ بغداد، ج١، ص١٣٠.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج١، ص٦٨؛ ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٧.

(٦) **معز الدولة البويهي**: أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي بن سابور ذي الأكتاف، احد ملوك الديلم، كان يقال له الأقطع لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى، اصبح احد ملوك بني بويه في عهد الخليفة المستكفي؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٧٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص١٨٩.

(٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج ٥، ص٢٧٩.

(٨) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٤، ص٤٥، ج ٥، ص٢٤٤.

(٩) التنوخي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٢.

، فيما أشير إلى عدد السفن الخارجة من **سيراف**[١] إلى بلاد الهند في موسم معين فكانت ثلاث سفن [٢]، والتي بلغ عدد ركابها من ملاحين وتجار ومسافرين الى ألف ألف ومائتا شخص[٣] .

(١) **سيراف:** بكسر أوله ورفع آخره، مدينة كبيرة على ساحل بحر فارس (الخليج العربي)، وهي من أعمال بلاد فارس وتقع في جنوبها، فيها مرسى وحيد للسفن هو كخليج بين جبلين، اذا دخلته السفن تكون في مأمن من كل أنواع الرياح، بينها وبين البصرة سبعة أيام بالهواء المعتدل الحسن ؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤ _ ص٢٩٥.

(٢) شهريار، عجائب الهند، ص١٦٥.

(٣) شهريار،المصدر نفسه، ص١٦٦ _ ص١٦٧.